لماذا تحدث المصائب؟

القس تود ويلكين، مضيف البرنامج
الضيف:
القس مات هاريسون

المدير التنفيذي للهيئة العالمية للإغاثة والرعاية الإنسانية LCMS
ومترجم الكتاب الروحي "تأملات في الرحمة الإلهية"
٢٨ ديسمبر ٢٠٠٣

ويلكن: مرحبا، وأهلا بكم في "قضايا... الخ" اسمي "تود وين" شكرا لاستماعكم

أثق أن جميعكم قضيتم عيد ميلاد سعيد، لكن ماذا لو لم يكن سعيدا؟ ماذا لو لم يكن وقتا للفرح، بل للحزن لأنه كان هناك مقعد شاغر على الطاولة، مات أحد أفراد العائلة العام الماضي، ماذا لو كنت مريضا وغير قادر على الاستمتاع بالعيد لمرضك الشديد. ربما وقع حادث لفرد من عائلتك، أو فقد أحدهم عمله. لماذا تحدث المصائب؟ يطلق اللاهوتيون والفلاسفة على حد سواء على هذا السؤال تسمية "معضلة الشر". لكن السؤال ببساطة هو، "لماذا تحدث المصائب؟" هل هي إعمال الله، أم هي عقاب إلهي على عثراتنا وأخطائنا الشخصية؟
في سياق حديثا قد يتوجب علينا أن نواجه السؤال الحقيقي: ليس مشكلة الشر، بل قضية الله!

معنا للحديث عن "لماذا تحدث المصائب؟" القس مات هاريسون. وهو المدير التنفيذي ل LCMS الإغاثة العالمية والعناية بالإنسان، وهو مترجم كتاب التأملات الروحية "تأملات في الرحمة الإلهية".
مات نرحب بك مرة أخرى في "قضايا... الخ"

هاريسون: مرحبا تود من دواعي سروري دائما أن أكون معك.

ويلكن: مات، لقد زرتَ كينيا مؤخرا، ورأيت أشياء مشجعة كثيرة هناك، لكنك أيضا رأيت كثيرا من الأشياء السيئة: فقر، مرض، جوع، أطفال مات والداهم بالإيدز، وكل هذه الأشياء. لماذا يسمح الله لتلك المصائب أن تحدث؟

هاريسون: حسنا، هذا لغز عميق ومحير. كينيا حيرتني. لقد سافرت إلى كثير من دول العالم الثالث، لكن كانت تلك رحلتي الأولى إلى كينيا، واحدة من أفقر دول العالم. ذهبنا إلى نيروبي، وبدأنا بزيارة الأحياء الفقيرة في نيروبي

حيث يعيش مليون ومئتا ألف أو يزيد من البشر في أسوأ أحوال معيشية يمكنك تخيلها. أكواخ مبنية من الطين وألواح الخشب، أكثرها مغطاة بأسقف من الصفيح. أزقة ضيقة مليئة بأقذر أنواع القمامة. أطفال وكبار ومسنون على حد سواء يعانون، مرضى. إن رؤية هذا المستوى من الفقر يصيب رجلا غربيا مثلي بالصدمة. أثار اهتمامي، مع رفاق السفر الذين أخذناهم معنا، الذين لم يسافروا إلى العالم الثالث من قبل، أن أراقب كيف يتصارعون مع هويتهم، مع الثروات الطائلة التي نملكها في العالم الغربي ـ بالمقارنة مع دول العالم الثالث ـ يتصارعون لاستيعاب هذا المستوى من المعاناة.

ويلكن: لدينا حسابات نستعملها كأناس ساقطين خطاة، عندما نرى أمورا سيئة على نطاق واسع كالتي رأيتها أنت، أو على مستوى فردي. حساباتنا تعمل بحسب الطريقة التي نظن أن العالم يدور بها. فكيف نرى تلك الأمور بحسب إدراكنا الساقط.

أعتقد أن الشيء الرئيسي الذي يربكنا عندما نرى تلك الأشياء هو افتراضنا أن البشر مسؤولون عن الأوضاع التي يعيشون فيها، هذا افتراض طبيعي بالنسبة لنا، بل إنه جزء من أخلاقيات العمل لدينا كأمريكيين بروتستانت. نحن متكلون على ذواتنا جدا: حسن أوضاعك بنفسك، تحكم بحياتك، أنت تقرر مصير ذاتك. نحن في أمريكا، لاسيما الإنجيليون منا، وأيضا عموم الأمريكيين، ابتكرنا عقيدة تتماشى مع هذا الفكر. اعمل ماهو مطلوب منك أن تعمل، والله سيعمل ما تطلب منه، وكل شيء سيكون على مايرام. أتذكر هنا في هذه المدينة، عندما خسر فريق رياضي مسابقة الدوري، قبل المسابقة مباشرة، في لقاء تليفزيوني مع أحد اللاعبين سئل عن سر نجاح فريقه، لن أذكر اسم اللاعب، لكنه قال "عندما تكون أمينا ومطيعا لله، يكون الله أمينا ومطيعا لك!" لست أمزح.

ويلكن: إذا يشبه هذا الفكر الأغنية الشهيرة من فيلم "صوت الموسيقى،" عندما تحققت أحلام الراهبة ماريا كلها، تزوجت من البارون "فون تراب"، وصار أولاده أولادها، غنت "لابد أنني عملت عملا صالحا في وقت ما."

هاريسون: بالضبط، الإنسان يفكر هكذا. أتذكر أيوب وصاحبه صوفر في سفر أيوب الفصل الحادي عشر، يقول لأيوب "إن أعددت أنت قلبك، وبسطت يديك. إن أبعدت الإثم الذي في يدك، ولا يسكن الظلم في خيمتك، حينئذ ترفع وجهك بلا عيب، حينئذ سيكون كل شيء على مايرام يا أيوب" تلك هي الطريقة التي نحب أن نفكر بها. خذ مثلا قصة يوسف وقميصه الملون. بيع يوسف عبداً على يد إخوته، لكننا نحب أن نفكرهكذا "يوسف مسؤول عن بيعه كعبد" لكن ماذ يقول النص في تكوين ٤٥؟ ـ لدي يقين أنك تذكر النص جيدا من مدرسة الأحد ـ بعدما كشف يوسف عن هويته لاخوته، بعدما صار حاكما لمصر، أخوة يوسف نخسوا في قلوبهم، قال يوسف "لا تتأسفوا ولا تغتاظوا لأنكم بعتموني إلى هنا، لأنه لاستبقاء حياة أرسلني الله قدامكم. الله هو الذي كان يحرك الأحداث " ثم يقول في تك ٤٥ : ٧ "أرسلني الله قدامكم ليجعل لكم بقية في الأرض وليستبقي لكم نجاةً عظيمة." ماذا كانت النتيجة، بالتأكيد نجا شعب الله، وتكاثر حتى وهو تحت العبودية، وأخرجوا وذهبوا إلى الأرض المقدسة، ومنهم جاء المسيح. كان الله هو المتحكم بالأحداث بكل تفاصيلها.

ويلكن: نخلص إلى إجابات خاطئة للأسئلة التي نسألها عندما نتألم: "لماذا أنا؟" أو عندما يتألم الآخرون: "لماذا لم أكن أنا؟" عادة تأتي إجاباتنا الخاطئة من اعتقادنا أننا متحكمون بظروفنا، لكن ماقلته للتو أن الله وراء الظروف. ذكرت لي عن الشاب الحدث الذي مات عندما كنت راع لكنيسة محلية، وكيف شاركت بالجنازة، وعن عظة الجنازة التي سمعتها من قسيسة، كانت تحاول أن تشرح للحاضرين لماذا مات ذلك الشاب قبل أوانه. ماذا كان تفسيرها، وما كان رد فعلك؟

هاريسون: نعم، عندما ننظر إلى مسألة الشر، يواجهنا لغز عميق عويص يصعب شرحه. في واقع الأمر، هو مستعص على الشرح من أكثر من وجه. شاب حدث أصيب في حادث سير في بلدة زراعية. حضرت جنازته كراع للكنيسة المجاورة. كثير من أولادنا صدموا بسبب هذا الحادث. قالت المرأة في بداية عظتها "أريدكم أن تعلموا أن الله لا شان له بهذا الحادث البتة" ففكرت "حسنا، تلك طريقة جيدة لنرفع عن الله المسؤولية عن مسألة الألم، وعن أنفسنا أيضا. من ناحية أخرى، هل يمكنني أن أؤمن بإله أضعف من أن يمنع تلك الحوادث، أو إله منسحب غير مكترث بما يحدث في العالم؟ هل هذا هو الإله الذي أؤمن به؟ لا أظن. يقول الرسول بولس في أعمال الرسل ١٧ "الذي به نحيا ونتحرك ونوجد" نعلم أن الله كلي القدرة، لابد أن هناك تفسير آخر.

ويلكن: أجابة خاطئة أخرى نستعملها هي "ما ندعوه شرا ليس شرا، بل في الواقع هو خير. الإله الذي أؤمن به خيّر جدا لدرجة أنه لن يدع أي شر يصيبني" ما ردك على هذا الرأي؟

هاريسون: أعتقد أنه أيضا تبسيط زائد. توجد حقيقة رائعة في الكتاب المقدس لا سيما في العهد الجديد، تجدها كثيرا في إنجيل مرقس، على سبيل المثال. مرقس هو أقصر الأناجيل. أقرأه وستلاحظ شيئا: كل من في ذلك الإنجيل يسئ فهم يسوع. الشخصيات الوحيدة التي تفهم من هو يسوع ـ "أنا أعرف من انت، أنت ابن الله" ـ هي الشياطين! شخصيات العالم الروحي تعرف من هو يسوع. سأل يسوع تلاميذه قائلا "من يقول الناس إني أنا؟" فأجابوه " البعض يقول أنت يوحنا المعمدان، والبعض يقول إنك إيليا" فقال يسوع "ماذا تقولون أنتم إني أنا؟" فأجاب بطرس "أنت هو المسيح ابن الله الحي" مرقس ٨. فامتدحه يسوع قائلا "طوبى لك يا سمعان بن يونا، لأن الله كشف لك هذا الأمر. ثم ماذا حدث بعد هذا، ابتدأ يسوع يتنبأ عن آلامه وموته، فماذا فعل بطرس؟ في الحال جادل يسوع! "لا يمكن أن يتألم المسيح هكذا، لايمكن أن يكون هناك أي شيء سيء في الحياة المسيانية كما أفهمها، بل هي حياة

انتصار دائم" ثم تتابع القراءة في إنجيل مرقس فلا تجد هناك من يفهم من هو يسوع حقا. عندما يصنع المعجزات يطاردونه إلى خارج البلدة. حسنا، من يفهم أخيرا؟ الوحيد، بالإضافة إلى الشياطين، الذي يدرك من هو يسوع حقا، هو قائد المئة الذي صلبه، ويسوع معلق على الصليب. الفصل ١٥، الفصل قبل الأخير من أنجيل مرقس، ويسوع معلق هناك، مائتا على الصليب، أخيرا يقول قائد المئة، "حقا كان هذا الإنسان ابن الله" أعتقد أنه في هذا درس عظيم لنا. أخيرا نرى الله، بطرق غير متوقعة. نراه في الألم. وهذا يغير نظرتنا للعالم ولحياتنا تغييرا جذريا.

ويلكن: بعد الفاصل، سنواصل حديثنا مع القس مات هاريسون، المدير التنفيذي للهيئة العالمية للإغاثة والرعاية الإنسانيةLCMS سنتحدث أكثر عن: لماذا يحدث الشر. الإجابة الحقيقية لمشكلة الشر والألم لا توجد في أي مكان سوى الصليب، عندما نعود سنتحدث عن لاهوت الصليب، بمعنى أن نفهم الله وكل أعماله من خلال الصليب، على عكس اللاهوت الشائع ـ الذي نطلق عليه أحيانا "لاهوت المجد."

ابقوا معنا. سنعود بعد الفاصل

(فاصل)

ويلكن: مرحبا مجددا في برنامج "قضايا..الخ". اسمي تود ويلكن. القس مات هاريسون هو ضيفنا لنتحدث عن لماذا تحدث الأمور السيئة. القس هاريسون هو المدير التنفيذي للهيئة العالمية للإغاثة والرعاية الإنسانية LCMS وهو أيضا من ترجم الكتاب الروحي "تأملات في الرحمة الإلهية."

مات، قبل الفاصل، قدمت لنا الصليب كالإجابة الوحيدة للسؤال "لماذا تحدث الأمور السيئة؟" يميز اللاهوتيون بين لاهوت الصليب، طريقة لفهم الله ومعرفته من خلال الصليب، ولاهوت المجد. أوضح لنا الفرق بينهما، واشرح لنا كيف يساعدنا هذا للتعامل مع مسألة الألم.

هاريسون: كيف يعمل الله في العالم؟ هذا سؤال كبير. نميل بشكل طبيعي أن نعتقد أن الله يعمل بطريقة تشبه المعادلات الرياضية. أنا أعمل أعمالا صالحة، يكافئني الله في هذه الحياة، ثم يكافئني بالحياة الأبدية لأني شخص صالح. تؤمن بهذا كل الديانات في العالم مع بعض الاختلافات بينها، كما يؤمن بهذا المسيحيون عندما يسيؤون فهم وتطبيق إيمانهم. لكن الله يعمل بطريقة مختلفة تماما - يسميها حكمة الصليب ـ الرسول بولس في كورنثوس الأولى والفصل الأول، يتحدث عن حكمة العالم وحكمة الصليب. حكمة الصليب بالنسبة للعالم حماقة. ويتابع بولس قائلا "ننادي بالمسيح المصلوب" جدير بالذكر أن الفعل في اليونانية يعني "المسيح قد صلب في نقطة ما في الماضي، ويظل دائما هو المصلوب" عندما نريد أن نرى الله عاملا في العالم، نحب أن نفكر هكذا "الله سيعطيني أحلاما لأعرف إرادته. الله سيرشدني الطريق الذي ينبغي أن أسلكه، سيعطيني وصفة من إثنتي عشرة خطوة لأحصل على الصحة والثروة والرفاهية. لو إنني فقط أفتح قلبي بما فيه الكفاية، سأحصل على الثروة وأنال عطية الروح القدس." لكن ما ننساه كثيرا، ما يختلط علينا، هو أن كل هذه الطرق والوصفات تفترض أنني "أنا" هو الفاعل، الذي يدفع الله لفعل شيء ما. لكن حكمة الصليب تفترض العكس. حكمة الصليب ببساطة هي: أنت وأنا لا شيء في نظر المسيح. نحن أموات في الذنوب والخطايا، والله وحده يستطيع القيام بأي فعل، وهو يعمل بواسطة الصليب بطريقة غير متوقعة البتة. يعمل من خلال الصليب ليحقق الأفضل لنا. والأمر الملفت حقا هنا يا تود هو، أنه في الفعل نفسه قمة الشر وقمة الخير، يعتمد على الزاوية التي تنظر منها. هل كان موت المسيح نتيجة للخطية؟ بكل تأكيد. هل حدث بسبب حاكم جبان خاطئ اسمه بيلاطس؟ بكل تأكيد. هل حدث بسبب مجتمع اليهود في القرن الأول الذي هاجم المسيح ورسالته ورفضه كالمسيح المنتظر؟ بكل تأكيد. هل كان نتيجة هرب التلاميذ وعدم ثباتهم مع المسيح وعدم اعترافهم باسمه؟ بكل تأكيد كل هذا صحيح ـ أنه شر مبين. قتل ابن الله، الله الظاهر في الجسد. إلا إنه، في قلب تلك الأحداث التي تبدو كأنها شر رهيب، الله حقق خطته بكل دقة.

فكر في النساء الواقفات هناك، ينظرن يسوع يموت على الصليب. لعلهن فكرن في أنفسهم، انتهى كل شيء، يبدو أن الله يكرهه ويكرهنا نحن أيضا. الشخص الذي وضعنا عليه كل آمالنا يموت أمام عيوننا على الصليب. لم يدركن أن الله كان يحقق الخير كل الخير على نفس الصليب، ليبارك العالم أجمع، فقط بعد القيامة فهموا الأمر. وأعتقد أن تلك هي العدسة التي من خلالها ينبغي أن نرى ليس فقط المعاناة الرهيبة في العالم، كتلك التي نصادفها في دول العالم الثالث أو أماكن أخرى، بل أيضا المعاناة في حياتنا وحياة عائلاتنا. من هذا المنظور لا نستطيع أن نرى ما يعمله الله دائما ـ غير ممكن أن نفهمه بأي حال من الأحوال. سنفهمه يوما ما. حتى ذلك الحين، نعرف هذا: إن الله هو المتحكم، الله كلي القدرة، الله يجعل كل الأشياء تعمل معا للخير للمدعوين بحسب قصده ـ رومية ٨، واحد من أكثر الآيات المفضلة لدي.

ويلكن: يقول البعض، "حسنا، كل هذا جيد يا قسيس هاريسون، لكن المسيحيين يجب عليهم أن يتجاوزوا الصليب وصولا إلى حياة الغلبة والانتصار" ما يعني أن حياتنا تتغير إلى الأفضل دائما. وما كان صحيحا عن الألم فيما قبل، لا ينطبق علينا الآن. كلما زاد انتصارنا، كلما زادت نصرتنا على الخطية، وقلت معاناتنا، وصراعنا مع أسئلة مثل معضلة الشر.

هاريسون: حسنا، المشكلة في تلك الفكرة أنها ليست صحيحة في حياة يسوع نفسه. عاش يسوع حياة مثالية على الأرض، أطاع إرادة أبيه تماما، لكن ماذا جلب هذا عليه؟ الصلب. بطرس أيضا، صلب ورأسه إلى أسفل، صلب هكذا لأنه لم يحسب نفسه مستحقا أن يصلب كمخلصه ـ هل كنت لتذهب إلى بطرس وهو مصلوب رأسه إلى أسفل وتقول "بطرس، أنت لا تحيا حياة الانتصار"؟

بولس، قبل أن يهوي السيف على رقبته ليفصل رأسه عن جسده، هل كنت لتقول له: "ماذا حدث يا بولس، ألم تكن تحيا حياة الانتصار؟" ألم تقرأ العهد

الجديد؟ اقرأ كل تلك النصوص التي يتحدث فيه بولس عن الآلام الرهيبة، في محاكماته، في أخطار البحر، أخطار الأخوة الكذبة. القائمة طويلة جداً، التي فيها يعدد بولس كل التحديات التي كان عليه أن يواجهها. ثم يقول، "أعطيت شوكة في الجسد" في كورنثوس الثانية، يتوسل إلى الله ثلاث مراث أن يأخذها عنه ـ في زمن المضارع. والله يقول "ستعرفني كمال المعرفة من خلال الألم. تكفيك نعمتي."

ثم يقول بولس "حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي" حياة الانتصار ببساطة هي: أن تدرك أكثر أنك لاشيء، والمسيح هو كل شيء لك. يمكنك أن تخدع نفسك، يمكنك أن تعتقد أنك فهمت كل شيء، وأنك تعيش القداسة، وذلك هو السر في أنك تقود سيارة جديدة، وفي أن الله "يباركك" في كل جوانب حياتك، لكنك أخيرا، ستواجه الموت يوما ما، ستواجه تلك اللحظة الأخيرة، إلا إذا جاء المسيح في حياتك، ستواجه الرعب من الخطية والموت والشيطان. في ذلك الحين، هل ستقول، لقد عشت حياة منتصرة"؟ أم ستقول، "حبيبي يسوع، اغفر لي، أنا شحاذ وخاطئ"؟ فلتقل الأخيرة، وإلا لن تقضي معه الأبدية في السماء.

ويلكن: قس هاريسون، لدينا دقيقة واحدة لاغير قبل أن نتوقف لفاصل. قد يسأل سائل، "وما دور الشيطان في كل هذا؟ أين يقع الشيطان في تلك الصورة: معضلة الألم؟" كيف نفهم هذا الأمر؟

هاريسون: نرى في قصة أيوب، كيف يأتي الشيطان إلى الله ويحصل على إذن أن يجرب أيوب. ونرى رد فعل أيوب الرائع، بعد أن قال له صوفر مباشرة "أصلح حياتك ولن تحدث لك المصائب" يقول أيوب "وإن قتلني فإن رجائي فيه!" ذلك هو الإيمان الحقيقي يقول الرسول بولس بوضوح: طلب إلى الله ثلاث مرات أن يأخذ عنه شوكة الجسد، والله يقول "لا." لاحظ كلمات بولس هنا. "أعطيت شوكة في الجسد، ملاك الشيطان" ـ مبني للمجهول "أعطيت" من أعطاه؟ الله نفسه. والمغوى هنا هو، الشيطان يشبه كلب شرس

مقيد بسلسلة، يتقدم بقدر ما يسمح الله له أن يتقدم، علينا أن نعتنق هذا في حياتنا. الله يسيطر على الشر ويستخدمه لتحقيق مقاصده، كل مقاصده بكل عظمتها.

ويلكن: قس مات هاريسون ضيفنا. أريد أن أواصل حديثي عن هذا الأمر عندما نعود بعد الفاصل، وأريدك أن تطبق موضوعي البشارة والناموس على معضلة الألم أيضا. كيث يساعدانا على إجابة السؤال: ماذا يعمل الله، ولماذا تحدث المصائب؟

فاصل

ويلكن: مرحبا مجددا في برنامج "قضايا...الخ"، يخطر ببالي في وسط هذه المناقشة، أتعرف، الإنكار ليس شيئا بعيدا عنا، كلنا نمارس الإنكار، خصوصا عندما نفكر في معضلة الألم. هذا هو لاهوت المجد، في جوهره: إنكار لكيف يعمل الله في العالم. وإنكار لماهية الحياة المسيحية الحقيقية. أتعلم ما هي الحياة المسيحية الحقيقية؟ إنها الصليب. هكذا تبدو الحياة المسيحية الحقيقية: تشبه مخلص مصلوب. هذه رسالتنا من خلال مناقشة كهذه، نتحدث فيها عن معضلة الشر، وأرجو وأصلي أن تكون رسالتنا من خلال أي مناقشة في برنامج "قضايا..الخ" نتكلم عن: لماذا تحدث المصائب، وضيفنا هو القس مات هاريسون.

مات، هناك تمايز في اللاهوت اللوثري، وفي معتقد كنائس أخرى: التمايز ما بين الناموس والبشارة. كيف يساعد هذا التمايز المسيحي أن يفهم ما جاء عنهما في الكتاب المقدس؟ كيف يساعد المسيحي أن يفهم ألمه، وألم من حوله أيضا؟

هاريسون: تود، أعتقد أن فهم مسألة الألم مرتبط بشدة بما يسمى عقيدة التبرير. "كيف أعرف أني مبرر لدى الله؟" هذا يعتمد كليا على الناموس والبشارة. هاتان الحقيقتان أو الرسالتان من الله هما حقيقتان متوازيتان. فتحت

الناموس أنا خاطئ "حتى أعمال بري كثوب قذر" كما قال إشعياء، ويشكو الرسول بولس بأسى في رومية ٧، ولا يستعمل زمن الماضي. يقول بولس، وقد يكون أعظم مسيحي في التاريخ، "أنا لا أفهم ما أعمل، فما أريد أن أعمله لا أعمله، لكن ما أكرهه إياه أفعل! وإن كنت أفعل ما لا أريد أن أفعل، أنا أقر أن الناموس صالح ـ الناموس ليس هو المشكلة. لست بعد أنا أفعل الشر، بل الخطية الساكنة في." ثم يشكو أيضا أنه عندما يريد أن يصنع البر لا يقدر. وحتى عندما يعمل ما هو صالح، الخطية هناك رابضة عند بابه. يقول "في إنساني الباطن، أسر بناموس الرب" لكنه في الحال يجد نفسه يخطئ. الحقيقة هي أن الخطية صارت جزء من تكويننا، وأفسدتنا إلى درجة كبيرة، حتى كمسيحيين، ننقاد بدوافع خاطئة باستمرار ـ حتى عندما نعمل اعمالا جيدة. تحت الناموس الكل مدان دائما. أحب أن أقتبس هذا القول "الناموس قال ما يعنيه وعني ما قاله، إنه يدين الجميع مائة بالمائة!" دائما! لن يكف الناموس عن إدانتك في أي وقت كان.

لكن ما القصد من الناموس؟ هل أن تربح السماء؟ كلا، هذا أشبه بمحاولة التسلق إلى السماء على سلم من الرمال! يوجد قصد من الناموس، وهو أن يدفعنا دفعا إلى يسوع. ففي نهاية شكوى بولس في رومية ٧، يقول "ويحي أنا الإنسان الشقي، من ينقذني من جسد هذا الموت؟" لذا فالألم هو عمل الله الغريب، كما يقول مارتن لوثر. إنه عمله، الذي يوظفه لقصد أسمى وهو أن يدفعنا إلى يسوع. وعندما نؤمن بيسوع، فحتى ميولنا الخاطئة، حتى ضميرنا المتألم الذي يعذبنا ـ وبالمناسبة الضمير المتألم هو سمة للمسيحي المؤمن حقا بالمسيح، لأن من لا يؤمن بيسوع، لا يعذبه ضميره. تلك الأشياء، في نور يسوع، في ذاتها تتحول إلى صلبان تدفعنا باستمرار إلى مخلصنا الرحيم، حتى ما نصرخ كما صرخ برتيماوس، "يا سيد، يابن داود! كيرياليسون: ارحمني!" ذلك المشهد هو صورة للمسيحي.

ويلكن: اشتهر كتاب منذ عدة عقود، كتبه حاخام: لماذا تحدث المصائب للأناس الصالحين؟ تحول عنوان الكتاب إلى جملة مأثورة، أو سؤال يسأله الناس في أوقات البلايا والمآسي. هل تلاحظ افتراضا خاطئا هنا؟

هاريسون: بالتأكيد. الافتراض هو أننا كلنا أناس صالحون، في أصل طبيعتنا، والخطية ليست بالمشكلة كبيرة، لو أننا فقط تفادينا الخطايا الكبرى كارتكاب الزنى والسرقة والقتل. لو كان هذا افتراضا صحيحا لكان علينا أن نجد تفسيرا لحدوث المصائب لهذا النوع من الناس. في واقع الأمر، الخطايا الحقيقية هي كسر وصايا اللوح الأول من الناموس "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي" ما يعني: لاتخف أو تحب أو تثق في أي شيء آخر. لكننا نخاف ونحب ونثق في أشياء أخرى. نخاف من أشياء كثيرة. نخاف أن نتكلم بالصدق لكيلا نتعرض للهجوم، نولي اهتماما كبيرا للجنس، نحب ونشتهي المقتنيات والمال، أو راتب أعلى، غير مكتفين بما لدينا. تلك هي الخطايا الكبرى. ونحن دائما آثمون بتلك الخطايا. فالافتراض الأساسي خاطئ، لأن الواقع أن، كلنا خطاة ولا يستحق أي منا أي خير من الله أبداً. تلك هي الحقيقة الجوهرية المعلنة في العهد الجديد، وعلينا أن نتقبلها بالإيمان، لأنها ليست نتيجة أستطيع أن أصل إليها بقدراتي الذهنية.

ويلكن: ربما جزء من لغز إرادة الله ـ وهذا ما أود أن نتحدث عنه، شيئين يقولهما لوثر عن الألم. أولاً، يقول في كتابه التعليمي أننا لا نستطيع أن نرى كيف يعمل الله من وراء الستار ليحبط مشيئات إبليس، وكل أعماله ـ وهو يحاول أن يسلب منا ملكوت الله، زاد يومنا، حياتنا نفسها، وبالأكثر إيماننا بالمسيح. لا يمككنا أن نرى أعمال العناية والحماية الإلهية.

هاريسون: هذا صحيح. وأعتقد يا تود أن حياتنا تشبه فيلم شارلي شابلن، حيث يقرأ الجريدة وهو يمشي، فيدخل إلى موقع بناء، ويطأ على عارضة ترفع إلى أعلى؟ هل شاهدت ذلك الفيلم؟ فهو يُرفع، لكنه يستمر في قراءة الجريدة. تصل العارضة في الوقت الصحيح، فيخطو على جسم المبنى، ثم

ينتقل ويخطو على عارضة أخرى تدلى لأسفل. ثم يواصل سيره على رصيف المشاة.

لقد تفادى حوادث مروعة دون أن يدري. أنا على قناعة أن حياتنا تشبه هذا المشهد جدا. لكن يسمح لنا الله بين الحين والآخر أن تصطدم أرجلنا بشيء ما، فيصعد صراخنا وعويلنا إلى أعلى السماوات، بعد أن نكون قد نجونا بأعجوبة من مصيبة لم ندر بها، سنصرخ "أين كنت يا الله؟! لقد انكسر اظفر رجلي!" هكذا حياتنا في رأيي.

ويلكن: يتحدث لوثر أيضا من واقع يوحنا ١٥، على ما أعتقد، حيث يقول يسوع كلماته الشهيرة، "أنا الكرمة وأنتم الأغصان. الغصن الذي يأتي بثمر ينقيه أبي ليأتي بثمر أكثر."

هاريسون: من أكثر الأقوال المفضلة لدي للوثر. قال، "أن أردت أن أكون مسيحيا، ينبغي أيضاً أن ألبس ثوب الألم. المسيحيون ينبغي أن يتألموا" ويقول لوثر في تعليقه على نص الكرمة والأغصان، "أنا الكرمة وأنتم الأغصان" ـ لوثر يصور الكرمة كإنسان. يأتي الكرام ذات يوم ويبتدأ بتقليم الكرمة فتصرخ "ماذا تفعل؟ إنك تمزقني إربا، ماذا سيتبقى في، ستقتلني!" فيجيب الكرام "كلا، أنا فقط أقطع الأغصان غير المثمرة، حتى تأتي بثمر أكثر" ثم يأتي الكرام ليعمل في جذور الكرمة، فتصرخ مرة أخرى، "ماذا تفعل أيها الأحمق؟ هل ستقتلعني من الجذور هذه المرة! ستقضي علي تماما! لن أثمر مطلقا!"

فيقول الكرام "كلا، أنا لا أقطع أي شيء. أنا فقط أخلخل التربة من حولك لتكبري وتنتجي محصولا أوفر." ثم أخيراً، يأتي الكرام بكمية كبيرة من السماد ويسكبها فوق جذور الكرمة، فتصرخ الكرمة، "ماذا تفعل؟! كيف تغمرني بهذه القذارة!" فيقول الكرام، "كلا أنا أخصبك. قد يكون الأمر مزعجا الآن، لكنه سيساعدك على أنتاج أفضل الثمار."

يقول لوثر، هكذا الحياة المسيحية. الرب كثيرا ما يخصبنا، الله يعلم أننا نتعرض لكافة أنواع القاذورات في هذه الحياة. لكننا نعلم أنه في المسيح آلامنا لها غرض، تماما كالصليب، ونحن نشترك في آلام المسيح. أليست هذه فكرة رائعة؟ والله يسمح بالآلام لا ليحطمنا بل ليدفعنا للالتصاق به. لم أكن لأصلي كثيرا إن لم يكن علي أن أتألم في هذا العالم.

ويلكن: القس مات هاريسون هو ضيفنا اليوم ليجيب عن السؤال "لماذا تحدث المصائب؟" وهو المدير التنفيذي للهيئة العالمية للإغاثة والرعاية الإنسانية LCMS.

يقول لوثر هناك ثلاثة أشياء تصنع اللاهوتي: التأمل، الصلاة والألم. والكلمات الثلاث اللاتينية متشابهة: ميديتاتيو، اوراتيو، تنتاتيو. الألم هو البوتقة التي نتنقى بداخلها. ليست التنقية الأخلاقية كما نميل أن نعتقد: كلا، الله ينقي إيماننا بالمسيح بالألم، وهو يجعلنا متصلين بآلام المسيح، فنرى كل شيء، كل الأشياء السيئة التي تحدث في حياتنا، من خلال عدسة الصليب إن كنا قد اتحدنا معه في موت كموته، فلابد أن هناك رجاء بعد ذلك الألم، لأننا أيضا نتحد معه في قيامة كقيامته.

بعد الفاصل سنحاول الإجابة عن السؤال "لماذا؟"

فاصل

ويلكن: في الدقائق التالية سنختم حوارنا في الإجابة عن السؤال "لماذا تحدث المصائب؟" مع ضيفنا القس مات هاريسون.

مات، هل حقا يمكننا الإجابة عن السؤال الكبير "لماذا؟" بأية تفسيرات في هذه الحياة، قبل القيامة؟

هاريسون: هذا سؤال كبير، دعني أسألك لماذا سألتني هذا االسؤال. (ضحكات). في الواقع توجد إجابات واضحة لمسائل واضحة. إذا قدت

سيارتي الخربة بسرعة مائة ميل في الساعة دون أن أضع حزام الأمان وخرجت عن الطريق الممهد، فهناك سبب واضح للنتيجة، ونتيجة متوقعة.

ويلكن: نتيجة أعمالنا.

هاريسون: بالتأكيد، ولا شيء مما قلته اليوم يغطي هذا النوع من السلوك المؤدي للمصائب. لكننا لسنا أنبياء. والرب، على عكس ما يعتقد الكثيرون، الرب لا يظهر لنا في أحلام، والله لا يظهر لنا من خلال أناس يصرخون ويصخبون ويقولون "الرب كشف لي هذا الأمر أو ذاك" عندما أفكر في القديس بولس، القديس بولس كان نبيا لله. يقول "أعطيت رؤى وإعلانات فائقة. لكن لكي أبقى متضعا، أعطيت شوكة في الجسد." عرف بولس أن الهدف العام للتحديات التي واجهها هو أن تحافظ على اتضاعه.

وأقول إننا نعيش حياة مشابهة، رغم أننا لا نُعطى إعلانات كالتي أعطيها بولس. لدينا الكتاب المقدس. يسمح الله لنا بالآلام ليدفعنا دفعا إلى يسوع، لذلك أقول ما قاله بولس ـ إن كنت أجتاز ضيقات في حياتي، سأقول "يارب، أتوسل ثلاث مرات أن تأخذها عني!" فيجيب الله من كلمته في كورنثوس الثانية ١٢، ليس فقط لبولس بل لجميعنا، "تكفيك نعمتي، لأن قوتي في ضعفك تكمل" تماما كالمسيح على الصليب" لذلك سأفتخر أكثر بضعفي" هل لاحظت أين يعمل الناموس بطريقة خاطئة في حياتنا؟ نحن نفتخر كم نحن قديسون ـ "كل شيء سيكون على مايرام في حياتك إن صرت قديسا مثلي! اتبع تلك الطريقة من عشرة خطوات فتحصل على مليون دولار مثلي!" هذا لا يوافق الكتاب المقدس. "سأفتخر بالأكثر بضعفاتي، لكي تحل عليّ قوة المسيح. لذلك، من أجل المسيح، أفتخر في الضعفات، في الإهانات، في الضيقات، في الاضطهادات، في الصعوبات، لأنه حينما أنا ضعيف، فحينئذ أنا قوي لأني ممسك بيسوع. يسوع وحده، لا شيء غيره، وهو دائما. ولاشيء في أنا." تلك هي المسيحية في أفضل صورها.

ويلكن: أحب أن نتحدث، لدقائق قليلة، لا عن آلامي أنا بل عن آلام الآخر. هل معاناة الآخر فرصة لي لأقدم أعمال المحبة من خلال دعوتي ـ المكان الذي وضعني الله فيه في هذه الحياة؟

هاريسون: قطعا. تلك هي مهمتك، دعوتك لخدمة يسوع. تذكر كلمات يسوع في الدينونة الأخيرة في متى٢٥، يقول للأبرار، "كنت جوعانا فأطعمتموني، كنت عطشانا فسقيتموني. كنت سجينا فزرتموني،" الخ.، فيجيب الأبرار، "يارب، متى رأيناك جوعانا أو عطشانا أو سجينا؟" فيقول يسوع، "الحق أقول لكم، ما فعلتموه بأحد أخوتي الأصاغر فبي فعلتم" خدمة الله لا تحدث في المقام الأول يوم الأحد بالكنيسة. يوم الأحد الله يخدمك بكلمة غفرانه ونعمته وبمائدة الرب. يقول لوثر، "في عشاء الرب، المسيح يعطيك نفسه بالكامل، لكي ما تعطي نفسك بالكامل لقريبك." لذلك فاحتياج الآخر هو دعوتي للخدمة. وهذا شيء رائع، لأنه في كثير من الأحيان عندما نتألم، نغرق في رثائنا على أنفسنا، ونفكر، "ياللهول، لماذا يفعل الله بي هكذا؟"لكن فيما بعد، نصادف قريبنا الذي يجتاز نفس المعاناة التي اجتزناها. عندها خبرتنا تساوي الكثير. يمكن لله أن يستخدمنا لأننا اتضعنا، ولأننا تعلمنا شيئا من خلال الألم، وباستطاعتنا الآن أن نحب الآخر بطريقة كانت مستحيلة قبل اجتيازنا الألم. لقد شهدت هذا في حياتي مرات عديدة جداً

ويلكن: هناك من يستمع لنا، شخص خرج من موسم أعياد الميلاد، وبالنسبة له، أفراح الأعياد لاتعني شيئا على الإطلاق. يقول، "لست أشعر بالفرح، لا أرى يسوع في حياتي. حياتي الآن ظلمة ووحدة وحزن وخسارة." ماذا تقول لمثل هذا الشخص؟

هاريسون: أقول، حسنا. لأنك تدرك أنك لاشيء في ذاتك، وأنك تحتاج يسوع، وتُدفع إليه. أقول لك، "إذهب إلى الكنيسة"، ليس ما تعطيه هو المهم بل ما تستقبله من يسوع. ستقول لي "لن أذهب، كلهم مراؤون في الكنيسة!" بالتأكيد هم مراؤون، ويوجد مكان لمراءٍ آخر في وسطهم، هو أنت! ليست

الكنيسة مكانا نقول فيه "تعال، كن قديسا مثلنا. تعال، كف عن كسر وصايا الناموس وكن مثلنا قديسا يُرضي يسوع." كلا، الكنيسة مكان نقول فيه، "تعال، كف عن التصرف كأنك لا تحتاج إلى يسوع، واركع معنا على ركبتيك." ابحث عن كنيسة تعترف بالمسيح. اذهب إلى كنيسة تساعدك أن تعترف بخطاياك في صلواتها. كنيسة حيث يقول الراعي "بالنيابة عن المسيح أغفر خطاياك، ومهما كنت تشعر، تلك هي الحقيقة." وصليب المسيح كان لأجلك، مهما كنت تشعر. ومع الوقت، الرب سيجعلك ترى ومضات من الفرح بين الحين والآخر في حياتك. لكن الصليب كان لأجلك مهما يكن، لاسيما وأنت لاتشعر بأي شيء.

ويلكن: القس مات هاريسون، شكرا جزيلا لحلولك ضيفا على برنامج "قضايا...الخ"

القس مات هاريسون هو المدير التنفيذي للهيئة العالمية للإغاثة والرعاية الإنسانية LCMS وهو أيضا من ترجم الكتاب الروحي "تأملات في الرحمة الإلهية"

الرسول بولس كان يعرف الألم، لا أعتقد أنه فوجئ بالآلام. وكلما نما في معرفة مخلصه يسوع المسيح، كلما بدا الألم منطقيا. لم يعلم كل الإجابات للسؤال "لماذا أتألم؟" لكنه عرف ذاك الذي تألم من أجله. عندما دعاه المسيح وهو في طريقه إلى دمشق، قال ربنا يسوع عنه لحنانيا، الذي عمد بولس "سأريه كم ينبغي أن يتألم لأجل اسمي" الرجل الذي سبب الألم لاسم المسيح، مضطهد الكنيسة فجأة صار هو المتألم. لماذا؟ لأن ذلك هو المكان الذي وضع فيه يسوع نفسه من أجلك، ومن أجلي، ومن أجل بولس وحنانيا، ومن أجل أولئك المؤمنين الذين تألموا من أجل اسمه على مر العصور. وضع يسوع نفسه في هذا المكان، الشخص الذي يتألم ويموت من أجل خطاة مثلنا ـ ذلك يعطي آلامنا معنى.

شكرا لاستماعكم برنامج "قضايا....الخ" وكل عام وأنتم بخير